سلب الإيمان واشتداد الأمر
في الفتن

روى مسلم ما نصه: «حدّثنا أَبُو كَامِلٍ الجَحْدَرِيُّ وَأَبُو مَعْنٍ، زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ وَاللَّفْظُ لأَبِي مَعْنٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الحَارِثِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ العَلَاءِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ»** فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية 33] . أَنَّ ذٰلِكَ تَامّاً. قَالَ: **«إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذٰلِكَ مَا شَاءَ اللهُ. ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً. فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ. فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ»**.

وقال: «حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»**[1].

وقال: «حدّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ وَاللَّفْظُ لابنِ أَبَانَ. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ**

---

(1) صحيح مسلم 8/ 182.

الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَىٰ الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ. وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ».

وقال: «وحدّثنا ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِيُّ. حَدَّثَنَا مَرْوَانُ عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَان، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ. وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ».**

وقال: «وحدثنا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ وَوَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ. وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ»** فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: **«الْهَرْجُ. الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»**. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبَانَ قَالَ: هُوَ يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ. لَمْ يَذْكُرِ الأَسْلَمِيَّ»[1].

شرح أحاديث الباب:

وفي الحديث الأول نجد أن اللات والعزى ستكونان في الأرض معبودتين، وإذا كان لا يمكن لأحدنا تصور هذا الأمر فإننا معذورون، ولكن ما سيحدث في الأرض من اضطراب الملة وانتهاء الدين أشد على التصور استعصاء، وأبعد عن الأذهان استقضاء، غير أن الذي سيكون لا ريب فيه بحديث الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام. ويكون البلاء هذا في آخر الزمان قبل ظهور الريح التي تنفي الإيمان من القلوب فيرجع الناس إلى دين آبائهم، وهنا يكون على الأرض شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة كما دلت أحاديث على ذلك صحيحة.

---

(1) السابق 8/ 182، 183.

وأما اشتداد الأمر في الفتن كما جاءت الروايات الأخرى في هذا الباب فإن الرسول ﷺ مَثَّلَ لنا روعة الأمر وشدته بالرجل الذي يمر على قبر فيتمنى أنه موضع صاحب القبر بل يتمرغ في تراب القبر، وهذا غاية الحرة والإحباط لشدة ما يبتلى به الناس ولكثرة فشو القتل، وهذا ليس ناشئاً عن الدفاع عن الدين كما ذكر الرسول ﷺ بل ناجم عن اليأس من الحياة وإرادة التخلص مما فيها من شرور.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يدري القاتل في أي شيء قَتَلَ...**» الحديث، فهو يدل على التهاون بالإيمان وانخلاع الناس من ربقته وعدم التخوف من آثاره فإذا كان القاتل على هذه الشاكلة يقتل عشوائياً، والمقتول لا ذنب له أو أنه لا يعرف لنفسه ذنباً يستأهل له القتل فهذا قمة الفساد. وأوضح من هذا ما يعده إذ يذكر عليه السلام أن القاتل والمقتول في النار، وهو مندرج هنا ضمن أحاديث الفتنة التي تطرقنا إلى شرحها مطولاً في موضعها من هذا الكتاب، وقد جاءت روايات أخرى توضح هذا المعنى إذ سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن أن: هذا القاتلُ فما بال المقتول؟ فالقاتل يعرف أنه يستحق النار فما بال المقتول؟ ولا ذنب له في ذلك كما هو الظاهر، فأجاب الرسول ﷺ بأنه ـ أي المقتول ـ كان حريصاً على قتل صاحبه؛ وهذه الحال تكون فقط في الفتنة إذ الطرفان حريصان على قتل بعضيهما[1].

(1) حول المسألة الفقهية انظر: فتح الباري 13/ 24 وما بعدها وص27 حول قول الرسول ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**».